

الخطبة رقم ٧

ثمرات الصيام وأثر الإسلام في الأمن

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله المنان واسع الفضل والإحسان وسعت رحمته كل شيء
أحمده تعالى وهو المحمود والمعبود ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له أمر الناس بعبادته فأطاعه من سبقت سعادته ،
وعصاه أهل الشقاء والحرمان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الهادي لأقوم السبل والرشد لخير
الأديان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ..

أما بعد : أيها الناس يحتدم الصراع بين إرادتين ، إرادة تدفعه
للخير وأخرى تجنح به للشر ، وكلاهما من عمل الإنسان وكسبه،
ولعل هذا سر من أسرار التكليف ومناط الثواب والعقاب والجزاء
والحساب ، وولاء الله للمؤمنين ، وبغضه للكافرين والعاصين
والمرتابين ، ولكل من الإرادتين عوامل انتصار وأسباب انهزام
تسبق الفعل أو العزم عليه. فإرادة الخير قواعدها اليقين والصبر
والإيمان بحسن العاقبة والثبات على الطريقة المثلى ، يسبق هذا
قواعد حديث النفس والتفكير الجاد والاستضاءة بنور الله عما
ينبغي فعله أو تركه مستعيناً على ذلك بسمعه وبصره وقلبه .
وهذه منافذ خير للإنسان متى أحسن استعمالها ، ولهذا علق الله
عليها مسئولية فقال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) كما نعى الله أقواماً لم يستفيدوا منها الاستفادة الشرعية الدينية ، فقال تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) وعلى العكس من إرادة الخير إرادة الشر في الإنسان يوجد لصاحب النفس وضعف الإيمان وسوء الطوية وعقم العاطفة وعدم التفكير السليم في حسن العاقبة أو سوءها وعوامل أخرى لن يكون المسلم منها بمنجى إلا بتوفيق الله له وهدايته لحسن الأعمال (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا).

وكما هو الحال من كل أوجه الخير صعوبة فعله والسلوى بتركه، إلا أن الله يعلمنا الاستعانة به في كل ركعات الصلاة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي القرآن الكريم (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزه أمر نادى بالصلاة وقال أرحنا بالصلاة يا بلال . لينسى عنت الدنيا ويقبل بقلبه إلى ربه فيكسب المدد والعون من الله عن طريق عبادته ومناجاته والاستعانة به.

أيها المسلمون: فالإرادة الصادقة لفعل المأمور وترك المحذور إلا نتيجة من نتائج الصيام وثمرة من ثمراته فإذا حبس المسلم نفسه

عما أحل الله فكيف يجرؤ على ما حرم الله ، والمسلم إذا بلغ عنده هذا الشعور تصور الخطيئة والقرب من الله فقد حط رحله من أعلى مراتب الدين ألا وهو الإحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ** والنفس داعية إلى الشيطان

فاستح من نظر الإله وقل لها ** إن الذي خلق الظلام يراني

ويكمن في الإنسان غرائز هي مدعاة لقلع جذور الإيمان ما لم تعارضها قوة تطفئ جذوتها وتحد من سودتها . ذكرها الله تعالى في كتابه ثم أعقبها بما هو خير منها قال تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ... وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ)

عباد الله: ما هي المكاسب في جوارحتكم في عالم الصيام والقيام هل ادخرتم قوت الأرواح وروضتم الجوارح الصعبة على الانقياد

والإتباع ، وماذا أفدتموه مجتمعكم من المواساة والمحبة والإخاء .
هذه أيام تلك المطالب ولياليها فاستعينوا بالله واصبروا . لقد أوشك
الشر أن ينقضي من شهر الصيام ، فماذا عسى أن يكون فيما
بقي من أعمال ، فاجتهدوا رحمكم الله ، والله لا يضيع أجر من
أحسن عملاً . نسألك اللهم أن تجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم
وأن تهب لنا ما وهبته لعبادك الصالحين .

اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونسألك من خير ما سألك منه
عبدك ورسولك وعبادك الصالحين . ونعوذ بك من شر ما
استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك
الصالحون . اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ،
اللهم اسق عبادك وبهائمك وأحيي بلدك الميت ، ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
ذنوب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

الحمد لله فالحمد أولى للمحمود والشكر كل الشكر على آلاء
الرب المعبود وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد واجب
الوجود، وموجد كل موجود وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

صاحب المقام المحمود والحوض المورد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعد .. أيها الناس: الإسلام دين الأمن والسلام ودين المحبة والإخاء والصدق والوفاء ، لقد نشر الإسلام بجناحين من الأمن والسلام عقيدته في شتى الأصقاع ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً وامتد الإسلام عبر أرجاء المعمورة فتدفقت أمواجه آسيا حتى الصين ، واليابان وولج إيطاليا ودق أبواب باريس وهكذا انتشر الإسلام أول ما انتشر كمنقذ للإنسانية من ربقة الوثنية ومخلصاً للناس من عبادة غير الله من الأصنام والأوثان والأوهام والاعتبارات الباطلة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والإسلام في هذا الانتشار العظيم وهذا الامتداد الفسيح لا يعمل بسياسة القهر والسطو واستلاب الحرمان ، وإنما رسالته ضرورة نشر الأمن بين الناس والسعي في تحقيق السلام لتتعم الإنسانية بنعمة الله في ظل آمن وارف الظلال سائغ المذاق فسيح الجنان لا يخشى إلا الله . ولا يراقب غيره ولا خضوع ولا ذل ولا هوان . تلك والله سعادة الدنيا لبني الإنسان وفي القرآن الكريم (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) وقوله

تعالى: (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ويقول تعالى:
(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) .

وقال تعالى: (وَلْيُبَيِّدْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) فالأمن أمنية حلوة
وأنشودة عذبة ، والأمن غاية عزيزة ورغبة جليلة تزيل عن
القلوب الوجل وتبدد عنها البلبال والوسواس . وقد جعل الإسلام
السلام تحية المسلمين وخيرهم الذي يبدأ بالسلام (سلم على من
عرفت ومن لم تعرف) كما هي تحية أهل الجنة إذ يقال لهم
(سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَمَّا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ) (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) ويقال لهم (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ
الْخُلُودِ) وتحية المسلمين يوم البعث (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ)
وأمر الله عباده بالتسليم على النبي فقال جلت صفاته (إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا) كما يكرر تعالى في كتابه العزيز السلام على الأنبياء
والمرسلين (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) ، (سلام على إبراهيم) ،
(سلام على موسى وهارون) وفي سورة مريم على لسان عيسى
عليه السلام (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)
وفي ليلة القدر قال تعالى: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

أيها المسلمون: عرض الإسلام قواعد سليمة لكفالة الأمن والسلام في الداخل والخارج واستحدث نظاماً وشرائع للمحافظة على حياة الناس وأرواحهم وأموالهم وشرفهم ووضع الحدود وبينها ، كما أوضح وجوه التعذير لمؤاخذة المذنب ومعاقبة المتهم ، كما أوضح الإسلام قواعد سليمة لحفظ الأمن والسلام الخارجي قال تعالى: (فَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وقوله تعالى: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وقال عليه الصلاة والسلام: (تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر إلا أن تأتوني مسلمين أحب إلي من أن تأتوني لي بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم). وأوجب الإسلام احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع المشركين قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) وقال تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) جعلنا الله وإياكم من المتقين في الدنيا ، العاملين بالتنزيل ، ربنا ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . اللهم أنصر

دينك وكتابك وعبادك الصالحين ، اللهم زدنا ولا تنقصنا وأرضى
عنا ولا تهنا ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .